وتأليها ان الانسان محتاج الى انعام الله في ذاته وصفاته وفي احواله والله غني عن شكر الشاكرين وحمد الحامدين فكيف يكون مقابلا لنعم الله بهذا الشكر وبحمد الخلق فثبت بهذا الوجه ان العبد عاجز عن اتيان حمد الله وشكره فليرجع للحقيقة لم يقل احمد والله بل قال الحمد لله لان لو قال احمدوا الله لكلفهم بالاطاقة لهم به فلما قال الحمد لله كان المعنى ان كمال الحمد حق له وملك سواء قدر الانسان على الاتيان به او لم يقدر ونقل ان داود عم قال يا رب كيف اشكرك وشكري لك لا يتم الا بانعام منك علي وهو ان توفقني لذلك الشكر فقال يا داود به شاكرا (?)

وطرت الى الكرام الرحمن الرحيم اصلهما واحد لاتمام الرحمة والاول ابلغ من الثاني لان
فعلان لمن كثر منه الفعل وفعيلا لمن كثر منه وتكرر وحق الاول بلغ التاخير الا انه قدم لانه
لاختصاص به تعالى كالعلم ووصفه تعالى بالرحمة ومعناها العطف ومنه الرحم من قبيل اطلاق السبب
على المسبب وهو الانعام والاحسان فان الملك عطف على رعيته انعم عليهم واحسن في حقهم ومافي
معنى الرحمة من الزيادة كما وكيفا حيث يقال يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة واخرى يا رحمن الدنيا
والاخرة ورحيم الدنيا فرجعت الى الصيغة فان زيادة البناء لزيادة المعنى وهذا بعد الرجوع
الى اصل واحد في الاشتقاق بشرط الاتحاد في النوع فلا نقض بنحو حاذر وحذر احدهما اسم
فاعل والاخر صفة مشبهة فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ حيث لم يستعمل في غير الله تعالى الا
تعنتا كرحمان اليمامة والرحيم على عكس ذلك الحمد لله هو الوصف والاختصاص له تعالى فصح عن ذلك
قول عائشة رض نحمد الله لا نحمدك وقول علي رض لا تحمدن امرا حتى تجربه بل الاختصاص له
بذي علم وشعور يرشدك اليه قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقول العرب في المثل
السائر عند الصباح يحمد القوم السرى ومن ههنا تبين ان المحمود لا يلزم ان يكون فاعلا للمحمود
به فضلا عن ان يكون مختارا فيه كما توهم وان من فهم قيام الفرق بين الحمد والمدح بصحة تعلق
الثاني بالجماد دون الاول فقد وهم واتضح انه لا دخل فيه لمسئلة خلق العباد افعالهم في
هذا المقام لان الكلام في الحمد اللغوي والمرجع فيه من وثق بعربيتهم بالنقل الصريح والاستعمال
الصحيح من قبلهم عدم اختصاص الحمد به تعالى واما حمل التعريف على الجنس دون الاستغراق فه
فمنشأه امر اخر وهو ان يقتضي مقام الخطابة تخصيص حقيقته به تعالى تنزيلا للاخر والحمد
الثابتة لغيره منزلة العدم والقصد اليه هذا المعنى ظاهر عند كون التعريف للجنس دون
الاستغراق لانه قد يكون عرفيا كما في جمع الامير الصاغة وبه علم فلا يوجد استيعاب

١٦ ١

جميع الافراد فلا يتحقق مقتضى المقام والشكر مقابلة النعمة بالقول والعمل ولكونه بالفعل
كما يكون قيل داود شكورا اذا ظهر منه فقد وهم منه بادنى علو لقوله تعالى اعملوا ال داود شكرا
فهو اخص من الحمد متعلقا واعم منه موردا وهو اللسان والاركان ومقابل الشكر الكفران
ومقابل الحمد الذي يقابل المدح على ما نص عليه الجوهري ومن ههنا ظهر انهما مترادفان لغة واما
الجنان ليس بمورد له بل هو شرط لكون الفعل شكرا او دلالة في قول الشاعر افادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا على استقلال كل منها موردا ولان كان الحمد في مقابلة النعمة
شعب الشكر اسبع لها وادل على مكانها لخفاء ارادة الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة
وقال عم الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده ورفع الحمد بالابتداء وخبره لله واصله النصب
على المصدر وباضمار فعله لكونه من المصادر التي حقها ان تكون كذلك ولا يذكر معها الفعل
البتة كشكرا وعجبا وقد قرئ على الاصل والعدول الى الرفع على الاول للثبات لما في الفعل
من التجدد ولدلالته على الدوام ولذلك كانت تحية ابراهيم عم احسن في قوله تعالى قالوا سلاما
قال سلام ولان معناه على الرفع الحمد حق لله يستحقه لذاته وعلى النصب لا دلالة على ذلك
ولان الغافل عن معناه وكذا الساهي عن ملاحظته اذا تكلم به على الرفع واما خص الاسم المذكور
لكون المحامد كلها معروفة بمعانيها المستدعية لها فانه اسم ينبئ عن جميع صفات الكمال و
غاية نعوت الجلال حما والحمد نبه على استحقاقه له باعتبار افعاله العظام واثاره الجسام
من ربوبيته للكل وشمول رحمته الظاهرة للجميع وخصوص رحمته الباطنة لعباده المؤمنين
وذلك اذ ترتيب الحكم على الوصف كما يشعر بالعلية كذلك تعقيب الحكم بالوصف يشعر بكونه
قال حقيقة الحمد مخصوصة لذاته الواجبة الكاملة بذاتها وكمالاتها التي لا يشاركه فيها
غيره رب العالمين الرب يطلق على المربي والمصلح والسيد والمالك والخالق والمعبود

اول منها دفعة اخرى وهي ان نعم الله على العبد والدنيا متناهية وقول العبد الحمد لله حمد غير متناه فكانه يقول عبدي اذا قلت الحمد لله في مقابلة تلك النعم فالذي لك من الله النعم طاعة غير متناهية فلا بد من مقابلتها بنعمة غير متناهية فلهذا السبب يستحق العبد الثواب الابدي والخير السرمدي فثبت ان قول العبد الحمد لله يوجب سعادة لا اخر لها وخيرات لا نهاية لها ... لانك ان الوجود خير من العدم و الدليل على الكل موجود حتى فان ذلك عدم نفسه ولولا ان الوجود خير من العدم والا لما كان كذلك اذا ثبت فنقول وجود كل شيء ما سوى الله فانه حصل بايجاد الله وجوده وفضله واحسانه وقد ثبت ان الوجود نعمة فثبت انه لا موجود في عالم الارواح والاجسام والعلويات والسفليات الا ولله عليه نعمة ورحمة واحسان والنعمة والرحمة والاحسان موجب الحمد والشكر فاذا قال العبد الحمد لله وليس مراده الحمد لله على النعم الواصلة الي بل المراد الحمد لله على النعم الصادرة منه وقد وصلت الى من هو اهله واصل الى كل ما سواه فاذا قال العبد الحمد لله كان معناه الحمد لله على كل مخلوق خلقه وكل محدث احدثه من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي وجني وانسي وذات وصفة وجسم وعرض والى الابد ودهر الداهرين وانا اشهد انها باسرها ملكك وملكك وليس لاحد معها شركة ومنازعة ومدافعة فخر رازي (?)

Copyright © King Saud University